

السرادقات الزيني بركات

مقاربة في العتبات النصية

أبو بكر مرزوق

السرادقات: إنه الوسم الذي وسم به (جمال الفيطناني) فصول روايته (الزيني بركات)، وهو وسم متميز في السردية العربية، حتى إنه ليعتقد أن هذا المُناس لم يأت جزافاً، وإنما أورد السارد، ليقضي به حاجة استلهمها من قراءاته التراثية.

بيد أن مقاربتنا لهذه العتبة النصية المتميزة في متن (الزيني)، لا تحملنا بالضرورة إلى استكناه هذا المُناس، بالقصدية التي أرادها منه صاحبه، بقدر ما يمنحنا هامشاً رحباً، نتقوّل من خلاله ما لم يقله (الفيطناني)، وعلى الوجه الذي تسمح به القراءة، دون شطط أو تمحل.

السرادقات:

تبني الفيطناني معجمية "سرادق" لفصول روايته (الزيني بركات)، وهو وسم مميز لا نكاد نجد له نظيراً عند المحدثين، بل وعند القدماء أيضاً، كما إننا لم ننعوّه ضمن أدبيات التصنيف والتأليف، أو الأعمال الإبداعية.

غير أن تشاكلها الصوتي - الدلالي يوحي بأن هذا الاصطلاح الطريف لم يوظف إلا ليدلّ على ما تدلّ عليه تلك المصطلحات الحديثة المعتمدة في تبويب المصنفات والكتب، كمصطلح "باب" الذي يدلّ على الانفتاح على موضوع مستوفى العناصر، يدرس دراسة منهجية، أو مصطلح "فصل" الذي يدلّ على فصل قضية عن

*- يباحث من جامعة الأغواط الجزائر

فضاياً؛ تجمع بينها وحدة عضوية ومحاولة تفصيلها والفصل فيها، أو مصطلح "مبحث" الذي يدل على البحث والتقيب عن فكرة، ومحاولة الوصول إلى دقائقها.

فالسرداق - كما يدل عليه المعجم - وسم لكل ما يُضْرَبُ حول الشيء من حجاب أو حاجز، في نية عزله وإفراده، أو التكتّم عنه وستره. وبإسقاط هذه الدلالة اللغوية على الدلالة التي جاء من أجلها في رواية (الفيطاني)، نكون أمام (سرداق)، أي (فصل) يحتضن أحداثاً البصاصة والعمل الاستخباري والتجسّسي زمن المماليك، وما يعرضها من مؤامرات الحكم ووسائله، إلى جانب تلك التفاعلات السياسية والتحولات العسكرية التي شهدتها مصر زمن السلطان (قانصوه الغوري)¹، حيث تمثل فيها السرداقات قواصل مستقلة جزئياً، تمنع أن يختلط السرداق بالذي قبلها والذي بعدها، مع مراعاة تلك اللحمة العضوية التي تجمع وحدة البناء الفني للرواية. هذا الذي يستقيم مع ما سنذهب إليه، إذا ما تتبعنا هذا الدال تتبعاً معجمياً، ووفق سياقه الدلالي والتداولي.

عجمية "سرداق" :

السرداق: لفظ فارسي معرّب، إذ ليس في كلام العرب اسم مفرد، ثالثه ألف بعدها حرفان²، والسرداق، من حيث الدلالة اللغوية، هو كِبَلٌ حائل يحول بين الشيء وزيّته، أو إدراكه، ويكون هذا الحائل مادياً مصطنعاً (سورا، أو جداراً من أحجار أو أعواد، أو نسجاً (من صوف أو شعر أو وبر...) أو مانعاً طبيعياً (جبل أو ريوّة أو ماء أو نار...). وقد يكون الحائل معنوياً (وازعاً دينياً أو عرفياً اجتماعياً أو مانعاً نفسياً...).

لقد ارتبطت دلالة (السرداق)، في مرحلة من مراحل تطورها، بأبجديات البناء والعمارة، فهو - كما سلف القول - كلّ ما يلتفّ حول المكان، أو فوقه من حواجز مانعة، تكون ستراً له أو ظلاً.

وحين الرجوع إلى معاجم العربية، نجد صاحب (اللسان) يعرف السرداقات بأنها "كلّ ما أحاط بالبناء، من جائط أو مضرب أو خباء"³. كما يعرفها صاحب (الصحاح) بأنها التي تمتدّ فوق صحن الدار، وكلّ بيت من كرسف لقطن هو سرداق⁴. وهي عند صاحب (المصباح المنير) الفسطاط⁵، وهو البيت من الشعر أو القماش. أمّا استعمالها الحديث، فإنّ السرداق هو كلّ مكان يتخذ قصداً، للاحتفال أو التآبين، أو ما تعتمد بعض المجتمعات في احتفالاتها الاجتماعية، إذ لا تزال عادة نصب السرداقات للاحتفال والتآبين في المجتمع المصري مثلاً سارية، كمظهر من المظاهر الاجتماعية الراسخة، تعرف عندهم بـ (الصيوان)، وهو لفظ فارسي أيضاً، معناه الخيمة الكبيرة، أو الفسطاط الضخم من القماش.

ومن معاني (السرداق) الغبار الساطع، وفي معناه، يقول لبيد، واصفاً قطيعاً من البقر الوحشي:

رفعنا سُرَادِقاً في يوم ريح يصفق بين ميل واعتدال⁶

وقد تعني - أيضا - الدخان الشاخص المحيط بالشيء⁷، وهو المدلول الذي استعمله القرآن الكريم، حيث وردت لفظة (سرادق) في النص القرآني مرة واحدة، في قوله تعالى: ((إِنَّا اعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا، أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا، وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا، يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ، يَشْوِي الوجوه))⁸

وقد فسرهما صاحب (الكشاف) بقوله: "شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق، وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط .. وقيل: "دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار"، وقيل: "حائط من النار يطيف بهم"⁹

إن الذي نستخلصه من هذه التعاريف المعجمية، كون (السرادق) حيزا مكانيا يضاف إلى حيز الخيمة، أو البيت، يأتي حائلا أو سقفا، وفي الأغراض ساكنته، فهو امتداد للبيت وصحن الدار، يكون حرمة لأهله، يضم أغراضهم وحوائجهم من أسقية، وقدر، وجطب، وآلات طبخ .. كما يحوي كريم دوابهم وأنعامهم .. يمنع عنهم الحر والقر، والريح والمطر، واقتحام الحيوان الضال، كما يكون سترا لساكنته، يحول بينهم وبين أعين الناس ..

ثم يتطور (السرادق) في دلالاته، فيطلق على الفسطاط، ليحمل، إلى جانب الوظيفة النفعية، الوظيفة الجمالية، ومعه سوف يكتسب بعدا قيميا (اجتماعيا، ثقافيا)، به يتميز الناس، حسب وضعهم الاقتصادي والاجتماعي: (علية القوم، أواسط القوم، عامة الناس..)

ومن هذه الخلفية المعجمية، نلفي (السرادق) أحد العناصر المادية المتناغمة مع شكل البناء العربي الأول - عند القبائل العربية - وأبعاده الاجتماعية، ذلك أن الموقع الذي تأخذه القبيلة لنفسها، والنسيج العمراني الذي يميزها عن غيرها، سيمثل أولى أشكال الانحسار نحو (الداخل) والانفلاق عن (الخارج)، عادة المجتمعات القديمة .. إنه امتثال لفكرة (العصية) التي تجعل الفرد (كلا) يتماهى في نسق القبيلة. ثم يأتي (السرادق)، ليمثل مظهرا عمرانيا يكرس، بدوره، هذا الشعور المنكفي، مشكلا، بالنسبة إلى البيت (الخيمة) عاملا آخر منفلقا على نفسه، لتكتمل صورة الانفلاق داخل الانفلاق.

وإذا كان شعور (الفردية) حاصلا في الكل، فإنه لا يعني بالضرورة ذوبان الكل في الفرد، إذ لا يزال الفرد منكفئا على نفسه، محافظا على خصوصيته، مستقلا بذاته، وستكون (السرادقات) هنا، أولى صور هذه الخصوصية، مما يحملنا إلى الاعتقاد بأن هناك ثقافا حول الذات، تعمل السرادقات على حجبها، والتكتم عليه.

قد يسمح لنا المقام - هنا - أن نسأل عن دواعي هذا الالتفاف، ولا نعدم جوابا سريعا. إن الإنسان، مهما انفتح على الآخر، سيظل متمسكا بخصوصيته، دون أن يذوب في هذا الآخر أو يحتويه - والذوبان في هذا المقام مشروع - كما إن البحوث النفسية والأنثروبولوجية لتجد أجوبة موضوعية لذلك. حيث إن هذا العالم المصغر الملتف المتفوق الذي اصطنعه الإنسان ليسكن إليه، قد يتحول إلى سجن لا يستطيع منه فككا، وسيغدو هذا الكون الصغير صورة للكبت والقمع واليأس والانهزامية. وبقدر ما يصوغ الإنسان المكان، سيكون الإنسان، هو أيضا، من صياغات مكانه، وأول المتأثرين به.

السردقات، والانزياح اللغوي:

إن نظرة متفحصة للفظ (سرداق) في المدونة الشعرية العربية، تكشف لنا عن خضوع دلالتها اللغوية إلى تواطؤ اجتماعي صريح، انزاحت بموجبه، من دلالة (الوسيلة) إلى دلالة (القيمة). لقد استحالت لفظة (سرداق) علامة على سلطة الملك وأبهة الصولجان، وفكرة العزة والمجد، بل قد تمتد في (لا - الوعي الاجتماعي)، فتصبح موضوعاً للملك والسلطان. فقد جاء في علم التأويل: "من رأى سرداقاً مضروباً، فإن ذلك سلطان وملك، لأن السرداق للملوك"¹⁰.

لقد وظفت السرداق (تيمية) للملك والسلطان، والهيئة والمكنة، والعز والمجد، والتباهي والمفاخرة، وإنما لواجدون، من خلال الشواهد الشعرية التي نسوقها، صورة هذا الانزياح الذي ألمحنا إليه.

قال لبيد:

ودافعتُ عنك السيد من آل دارم ومنهم قبيل في السرداق فاخر¹¹

وقال جرير:

وما وجد الملوك أعز منا وأسرع من فوارسنا استلابا

وذو تاج له خرزات ملتب سلتيه السرداق والحجاب¹²

وقال أيضا :

كذب الأخطيل، إن قومي فيهم تاج الملوك ورأية النعمان

إني ليعرف في السرداق منزلي عند الملوك وعند كل رهان¹³

السردقات، والنحت اللغوي:

إن للألفاظ أصلا، تقتظم عليه الفروع عند عملية الاشتقاق، حيث إن التصاريح المختلفة والمتشعبة عن المادة الأصلية - اللفظة التي اشتق منها - لتدل على معنى جامع مشترك بينها، هو معنى اللفظ الأصلي، الذي لا تكاد تخرج عنه. وهذه الظاهرة، نلمسها واضحة في اللغة العربية، التي حافظت أغلب المشتقات فيها عن نسبها الأصل.

فلو أخذنا مادة (عرف) ونظرنا إلى بعض مشتقاتها التي تذكرها المعاجم العربية¹⁴، مثل: المعرفة، والاعتراف، والمعروف، والعرف، والعرف، نجد أنها تجتمع جميعها في معنى واحد، هو الانكشاف والظهور، ولعل الجدول الآتي يوضح ذلك:

الكلمة	معناها
المعرفة	الكشف عن شيء كان مجهولا
الاعتراف	الكشف عن النية، وأظهرها
المعروف	الكشف عن سلوك اجتماعي أخلاقي معروف
المُرف	السلوك الذي كشفت عنه الجماعة الواحدة
العرف	العطر الذكي الذي كشف عن نفسه عن بعد

إنّ هذا الانتظام الدلالي بين اللفظة الأصل، والألفاظ الفرعية (المشتقات) ييسّر على المشتغلين باللغة والمعجم أن يميزوا بين الأصل والدخيل، وعلى أساس هذا المذهب، ننظر إلى لفظة (سرادق)، حيث نجدها من الألفاظ الدخيلة، إذ ليس في كلام العرب، كما أشار الأصفهاني لت. 501 ها في (مفرداته)¹⁵ اسم مفرد ثالثه ألف، بعدها حرفان. إن (السرادق) معرّب، أصله في الفارسية (سرادار) أي (دهليز الدار)، على الرغم من محاولة بعض اللغويين التقييب عن أصل عربي له، منكرين تعريبه، لنزول القرآن به¹⁶.

نقد درج متكلمو العربية على توليد الألفاظ، لتجديد الدلالات، معتمدين الاشتقاق في صوره الثلاث الشائعة (الأصغر، والكبير، والأكبر)¹⁷، ثم عمدوا إلى اشتقاق رابع، حين دعت الحاجة إلى ذلك، فكان (الاشتقاق الكبير)، وهو اشتقاق يقوم على النحت، وهو مذهب قليل في الفصحى، شائع في العامية¹⁸، كاشتقاق (هرمس)، أي جمع الشيء بهمرسه بعد همرسه، من (هرس) و(مرس)، أو اللجوء إلى النحت في أبسط صوره، بجمع كلمتين، للحصول على كلمة واحدة، مما شاع عند اللغويين المعاصرين، مواكبة لتطور ألفاظ العصر، كنحتهم لفظة (برمائي) للحيوان الذي يعيش في البر والماء، أو مسايرة نحت في لغة أجنبية، كلفظ (القرسطية) للتعبير عن القرون الوسطى.

وبالرجوع إلى (السرادقات)، واعتمال هذه الألية، نجد أنّ لفظة (سرادق)، في بُنيته الدلالية، تحيل إلى المعنى الأول الذي من أجله جاءت في الأصل الفارسي، وهو (السرادق / الدهليز)، ثم تحيل إلى السياق الذي استعملت فيه، بعدما عرّيت¹⁹، حيث دلت على ما يحيط بالخيمة من وجاء، أو ما يضرب على صحن البيت من غطاء، أو ما قام مقام الفسطاط. ثم ذهبوا به مذهباً مجازياً، فدلّ عندهم على موضوعه السلطان، كالعز والمجد والمُكنة والمكانة الشريفة.

وإذا كانت الضرورة التواصلية والتداولية للغة، قد حملت مستعملي اللغة على سلوك هذا المسلك في الاشتقاق، فإنّ هناك محملاً دلالياً، هو من صميم (الشعرية اللغوية)، يدفعهم إلى اصطناع معنى للألفاظ،

بتجاوز اعتبارات الاستعمال اللغوي، والاحتكام إلى تأويل جمالي، يقتضيه سياق الاستعمال مرة، ونسق اللفظ مرة أخرى.

لقد استعملت (السراقات) في متن الزيني، لتؤدي وظيفة تقنية (منهجية)، فتقابل أبواب الكتاب أو فصوله، هذا هو السياق الذي جاءت من أجله، كـ (مُناص خارجي) في المتن. غير أننا، إذا جاوزنا هذه الوظيفة، ونظرنا إلى السراقات، بوصفها (نسقا)، نجد تناسبا لطيفا بين البنية الدلالية للفظ، والمضمون الذي أوجدها. نستحضر من السراقات فعلة (جذره) المعرب، وهو (سَرَقَ)، فبإسقاط آلية (التحت اللغوي) عليها، أمكننا أن نزعّم أن لفظ (سَرَقَ) قام على مقطعين هما: (سَرَّ)، و(قَ)، وبتحريف بسيط للمعنى، نحصل على لفظين صحيحين في حيث الدلالة، جاء الأول من (السَرِّ)، والثاني من (الدَقِّ)، وبتركيب لغوي آخر لهما، تتشكّل لدينا عبارة (سَرَّ دَقِيقَ)، ومعها، تصبح لفظة (سَرَقَ)، في دلالتها الخطية، والصوتية، والتركيبية، والدلالية (سَرَّ قَ)، فإين معنى السرية الدقيقة في المتن؟

إنّ (الموضوعة الكبرى) في متن الزيني، تدور حول (فكرة الصراع على الملك)، أي الصراع (الداخلي) لأمرء الممالك على العرش من جهة، وصراعهم (الخارجي) مع العثمانيين، على أرض مصر من جهة أخرى؛ ثم تأتي (الموضوعة الصغرى)، من خلال (فكرة البصاصة)، حيث يمثل جهاز المخابرات، وعمل الحسبة²⁰ - الذي انحرف عن الجادة، ليفدو في الأخير تجسّسا مبرّرا - مساحة عريضة في أحداث المتن. عندها ندرك، ونحن نبحث عن دلالة اللفظة المنحوتة (السَرِّ الدقيق)، المدى الذي يتطلبه الحفاظ على ملك مصر، من سرية الفعل ودقّة التصرف، أو ما يحيط بالملك من دسائس ومؤامرات، وتخطيط خفي للانقلابات، أو تفعيل حثيث للإشاعات، وهي تُحرّك في الخفاء، وغير ذلك من حيل السياسة والحكم.

ثم تأتي (فكرة البصاصة) التي حضرت عبر مراحل الفعل السري، في (الزيني بركات) حين أفرد لها السارد حيزا مستقلا في المتن²¹، سرادقا بأكمله (السرادق الخامس)، فكان ملفوظها مطابقا للمفوضات الوثيقة الاستخباريّة السرية، بحقله الدلالي، فتناست اللفظة المنحوتة فكرة البصاصة، بما يحيط بهذه الوظيفة (الجهاز) من تكتم دقيق، وحذر شديد، وما تتطلبه من إحاطة بالأمور، وإلمام بالمستور.

ثم تأتي لفظة (السراقات) التي تصدرت فصول الرواية، لتقع موقعا حسنا في المتن مرة أخرى، حين تضطلع بحفظ ما يقع فيها من أحداث، والحرص على احتوائه، إلا خيطا دقيقا، هو الحبل الصرّي الذي يفذي السراقات جميعا، فيحفظ نسقها العام، وينيتها الكلية.

نسيجية خارج السرادق:

(أ) يقوم المبنى الحكائي في (الزيني بركات) على مناص (سرادق)، يتقاطع مع مناص (المقتطف) في

²² عضوية دقيقة النسيج.

عدد السردقات الواردة في المتن (سبعة) ، وهي متفاوتة في أحجامها ، وعدد صفحاتها ، وتوضح لنا من خلال

الجدول الآتي:

عدد الصفحات	السردقات
26 ص	السردق الأول
28 ص	السردق الثاني
27 ص	السردق الثالث
17 ص	السردق الرابع
01. بعض سطر	السردق السابع
24 ص	السردق الخامس
03 ص	لسردق السادس

(ب) عدد المقتطفات (خمسة) ، تتوزع في المتن بكيفية متميزة :

• تتقدم السرداق مباشرة (السردق الأول)

• تختتم بها السرداقات (السردق السابع)

• تتوسط السرداق (السردق الثالث)

• قد تتكرر في السرداق الواحد (وردت مرتين في السرداق الرابع)

(ج) قد ورد (مناص) ثالث في نهاية المتن ، وضعه الكاتب تحت اسم (خارج السرداقات) يقوم مقام المقتطف ، ويتقاطع تقاطعا منطقيا مع المقتطف الأول الذي انفتحت الرواية به ، ولعلّ الجدول الآتي يكشف لنا هذه الهندسة الدقيقة.

بناء الحدث	نوع المناص	الصفحات	عرض الأحداث
بداية الحدث	المقتطف الأول	05 ص	أجواء القاهرة قبل الهزيمة
تطور الحدث	السرداقات السبعة	126 ص	الأحداث التي تخللت البداية (قبيل الهزيمة) والنهاية (بعد الهزيمة)
نهاية الحدث	خارج السرداقات	02 ص	الهزيمة وما بعدها

ولفهم تقنية العرض في متن (الزيني)²³، ومتابعتها من خلال هذه المفاصات الثلاثة (المقتطف، السراقات، خارج السراقات)، لا بد لنا من عود على بدء، حتى ندرك بعض مقاصدها:

● إن (المقتطف "أ") الذي استهل به المتن، هو (استباق زمني) لنهاية الحدث في الرواية، بل، إنه هو نفسه نهاية الحدث.

● إن (السراقات) أي فصول الرواية، هي عرض لها بطريقة (الارتداد الزمني)، أي ما حدث قبل نقطة البدء.

● إن (خارج السراقات)، وهي نهاية الرواية، (عودة إلى نقطة البدء)، ثم (تجاوزها) إلى الهزيمة، وما بعد الهزيمة.

لقد مثل (المقتطف الأول) في حياة متن (الزيني) أنموذجا لاستراتيجية البدايات في الأعمال السردية، حيث تكمن أهميتها الأولى في فهم الآليات المؤسسة للنص، وتحقيق مظاهر انفتاحه. إنها تشكل دورا توجيهيا يقود الدلالة من التكثيف والفموض إلى حقول الكشف وتوسعة المعنى. وإذا كانت البداية من أعقد أجزاء العمل، بوصفها الواجهة الثقافية التي تقرب القارئ من النص، فإن لها، من جهة أخرى، وظيفة الإسهام في بلورة الوعي النقدي، بإقرار أن المدخل اللغوي في عملية التواصل القرائي، ليس عتبة لغوية فقط، بقدر ما هو مدخل ثقافي عام²⁴.

لقد انفتحت (السراقات) على مدخل (المقتطف الأول)، الذي شكّل فيها بوابة الهزيمة، حيث ستكشف حقيقة الأحداث الواقعة في عالم السراقات الخفي، إنه جملة العلامات التي سنهتدي بهديها قبل أن نتصور (السراقات) فتكشف لنا عن أسرارها (اضطراب القاهرة، اختفاء الزيني بركات، دلائل حزب وشيكة بين السلطان المملوكي والسلطان عثمان).

إن تقسيم النص إلى (سراقات) يجعلنا أمام نص (مفلق)، محدد المعالم، مقدر الخطوات، في حين، نجد أنفسنا، ونحن خارجة (ما قبل السراقات وما بعدها) مع نص (منفتح) يفتح طريق القراءة المتعددة.

إن الخطاب الأول، أي (المقتطف)، يتصل برؤية الرحالة الإيطالي، فياسكونتي جانتي (الراوي/الشاهد) للأحداث؛ فهو (الما - قبل)، أو هو العتبة النصية الأولى - حسب تعبير جيرار جانت **Gérard Genette** لهذه البيوتات (السراقات). ثم يأتي (الما - بعد)، تحت عنوان دقيق هو (خارج السراقات)، وكأني إجابات حاضرة، ونتائج حاسمة ومنطقية، لما أثير في (الما - قبل)، حيث يعرض الرحالة (الراوي/الشاهد)، ما رآه عند زيارته الأخيرة، كشهادة على عهد مملوكي انقرض، وزمن عثماني قد فرض، وما هو (المنادي)²⁵، يعلن عن تعيين (الزيني بركات) محتسبا جديدا، لعهد جديد، ويعلن عن العملة العثمانية، وقد حلت محل العملة المملوكية.

لقد استهل السارد مناصه الخارجي (المقتطف الأول) بجملة عميقة الدلالة: "كُلَّ أول آخر، ولكل بداية نهاية"²⁶، إذ كَلَّ شيء يقوم على توالد البدايات والنهايات، ومع صيرورة الأشياء وسيورتها، يأخذ المتن الحكائي "شكل الدورة، أو شكل العود على البدء، أو شكل علامة الاستلزام في المنطق الرياضي"²⁷.

حين نؤرخ للفترة التي يتعرض إليها المقتطف الأول (الما - قبل)، نجد وقائعها قد حدثت خلال شهر (رجب من سنة 922 هـ) الموافق لـ (أغسطس من سنة 1517 م)، وحين ننظر إلى المقتطف الأخير (الما - بعد)، نجد وقائعها قد أرّخ لها بسنة (923 هـ) فحسب. سنشير إلى جزئية دقيقة، ربما أسهمت في إيهام القارئ من خلال ربط الحوادث بالتواريخ، إذ علينا - مبدئياً - إبعاد فكرة كون رواية (الزيني بركات) رواية تاريخية؛ قد أسهم المتخيل السرد في إسهاما فاعلا، أو كونها مشروع رواية تاريخية، جذعت مادتها بدقة²⁸، ورتبت عناصرها ببراعة، بحيث مكّنت القارئ من قراءتها على أساس أنها أثر سردي خالص.

لا يكاد القارئ يدرك في (الزيني بركات) تكرار البداية في النهاية، فالبداية عنده، هي أحوال القاهرة المضطربة التي تخفي أمر خطيرا، والنهاية هي نهاية تحبس الأنفاس على أجواء جديدة، هيمن فيه الثمانيون، ومستجدات حديثة، تسير السياق التاريخي (تعيين الزيني، وتغيير العملة). لقد أسهم (التاريخ) للمرحلتين، في إذكاء هذا الإيهام، وتثبيت الفارق الزمني بين البداية: (رجب 922 هـ / أغسطس أوت 1517 م)، والنهاية (923 هـ)²⁹، أي أنّ بين (922 و 923) فارق عام كامل - وهذا موطن الإيهام - ولكن، وباستقراء الأشهر، ندرك أنها بضعة أشهر فحسب، ومعها، تكشف رواية (الزيني بركات) عن معمارية دقيقة، من خلال لعبة زمن، وإيهام فني، حيث تكثّف الزمن الفني وامتدّ على حساب الزمن التاريخي الموهم بالامتداد، فلم يعد أن كان بضع زمن.

لقد جاءت عتبة (السراقات) مناصا فريدا وسم فصول متن رواية (الزيني بركات)، وكشف عن نسق (المنحوى)، إذ كانت أنسب إلى موضوعة البصاصة، ذلك الجهاز المخبراتي القمعي الذي انتظمت عليه الأحداث، بما يستدعيه من حيطة وتكتم، كما مثل هذا المناس، في نسق (الشكل)، بناء حدثيا دقيقا شكّلت فيه العناوين الكبرى (السراقات) هندسة دقيقة للمراحل الحديثة العامة التي يقوم عليها متن (الزيني)، ثم تأتي المناصات الصغرى (المقتطفات) لتمثل معالم الحدث الخارجية في بنيته (السطحية)، فتؤسس لبداية الأحداث ونهايتها، مشكلة محيطا حدثيا لها، ذلك الذي اضطلعت به عتبة (السراقات) في بعض أبعاد متن (الزيني بركات).

إحالات :

- 1 - تتناول الرواية فترة المماليك البرجية (1382-1517) ، الذين حكموا مصر، في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، على أنقاض المماليك البحرية (1250-1382) ، وقد أرخت الرواية لعهد السلطان (قانسوة الغوري) ، ومحتسبه (الزيني بركات).
- 2- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تح. محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، ط.1، 1998، ص. 236.
- 3- لسان العرب، ابن منظور، مادة (سردق).
- 4- الصحاح، الجوهري، مادة (سردق) .
- 5- المصباح المنير، الفيومي، مادة (سردق).
- 6- لبيد بن ربيعة العامري، الديوان، دار صادر، بيروت، [دبت ط] ص. 108.
- 7- لسان العرب، مادة (سردق).
- 8- الكهف / 29.
- 9- الكشف (عن حقائق التنزيل، وعيون التأويل)، الزمخشري، تح. محمد الصادق القمحاوي، شركة مصطفى البابي، مصر، 1972، 2/ 482.
- 10- منتخب الكلام في تفسير الأحلام، ابن سيرين، دار المعرفة، بيروت، ط.4، 2000، ص. 181.
- 11- الديوان، ص. 63.
- 12- ديوان جرير، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1980، ص. 60.
- 13- الديوان، ص. 471.
- 14- لسان العرب مادة (عرف).
- 15- المفردات، مرجع سابق، ص. 236.
- 16- دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط.13، 1997، ص. 178.
- 17- ينظر كتاب (الخصائص) لابن جني، في باب الاشتقاق الأكبر (2/ 88)، كما ينظر باب تصانيف الألفاظ (2/ 95) .
- 18- ينظر : الفلسفة اللغوية، جرجي زيدان، فصل النحت.
- 19- نذكر بأن لفظة (سردق) وردت مرة واحدة في القرآن، (الكهف/ 29) ، وبخولها القاموس القرآني، عوملت معاملة اللفظ العربي.
- 20 - الحسبة : مظهر من مظاهر حفظ النظام العام داخل المدن، عرقها الإمام الماوردي [ت.450هـ] في كتابه (لأحكام السلطانية) بقوله: هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله، وأركانها خمسة: المحتسب (القائم على الحسبة) ، والمحتسب عليه (التارك للمعروف، الفاعل للمنكر) ، والمحتسب فيه (فعل المنكر، وترك فعل المعروف) ، والاحتساب (فعل الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر) ، ومن وظائف المحتسب: مراقبة آداب العبادات (المحافظة على حرمة شهر رمضان) ، ومراقبة الآداب والسلوك العام، ومراقبة الأسمار، والنظافة العامة، ومظاهر العمران المتسق مع طابع المدينة. ومن شروط دفع المنكر مع المحتسب: أن يكون المنكر ظاهراً، مطعماً عليه، دون تجسس (بصاصة) ، ويراعى في ذلك شكوى الناس عادة. وفكرة (الحسبة) موضوعة مركزية في رواية (الخطابي) ، مثلها (الزيني بركات) ، حين يظهر في أحداثها متعسفاً في تطبيقها.
- 21 - تنظر الرواية
- 22 - تنظر منسمة التتويب في رواية (الزيني بركات)
- 23- ينظر: انفتاح النص الروائي، سعيد يقطين، للمركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط.2، 2000، ص. 61.
- 24- شعيب خليفي، هوية العلامات في العتبات النصية وبناء التأويل

25 - ظاهرت النداءات ظاهرة متميزة أيضا في متن (الزيني)

26 - الزيني / 5.

27 - وظيفة اللغة في الخطاب الروائي عند نجيب محفوظ، عثمان بنري، رسالة دكتوراه (مخطوط)، جامعة الجزائر، 97/96، ص. 20.

28 - استمدّ الفيطاني مادته الروائية من كتاب (بدائع الزهور في وقائع الدهور) لمؤرخ المماليك، أحمد بن إيلس (ت. 930هـ)، الذي عاصر أحداثها، وشهد سقوط الدولة المملوكية في يد العثمانيين، فكان هذا النص بمثابة الممارسة النصية لما شهده الوطن العربي في العصر الحديث، إثر هزيمة سبعة وستين.

29 - وقع خطأ ف29 - اعتمد في هذه الدراسة إصدار دار الشروق (بيروت)، ط. 2، 1994 في النسخة المعتمدة، حيث يظهر المتن سنة (913 هـ) بدل سنة (923 هـ).